

واقع الصحافة الوطنية بين : 1945 . 1954

أ . عبد القادر كرليل

قسم التاريخ

جامعة معسكر

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وصدور قرار العفو العام من طرف السلطات الاستعمارية عن أحزاب الحركة الوطنية في 16 مارس 1946، دخل الشعب الجزائري مرحلة جديدة من نضاله ضد الاستعمار مستغلا بذلك ما ترتب من نتائج عن هذه الحرب وهي عديدة، كانقسام العالم إلى معسكرين رأسمالي واشتراكي، وتفكك النظام الاستعماري بسبب ظهور موجة الحركات التحررية في المستعمرات، وانهزام فرنسا أمام الألمان، وتجميد نشاط الأحزاب السياسية المشكلة للحركة الوطنية الجزائرية، في مقدمتها حزب الشعب الجزائري طوال الحرب، ومجازر 8 ماي 1945 التي تعد حقا منعرجا حاسما في تاريخ الحركة الوطنية الحديثة⁽¹⁾، من خلالها عرف النشاط السياسي في الجزائر مسارا جديدا ونقطة تحول وانطلاق لأسلوب جديد للنضال الوطني الذي كان له دور كبير بموجب استغلاله لكل هذه الظروف التي طرأت على الساحة الجزائرية والعالمية.

اتسعت دائرة نشاط الأحزاب السياسية، وبدأت معالمها ترسم في الأفق وكانت البداية أثناء الحرب، عندما أقر الجزائريون تجاوز جدار الصمت المفروض عليهم عن طريق تجميد النشاط السياسي للأحزاب السياسية⁽²⁾، فلم يستسلموا للواقع المر، وسارعوا إلى توحيد الصف تحت لواء رابطة أحباب البيان والحرية

التي لم يكتب لها العيش طويلا، إذ تم حلها رسميا في 14 ماي 1945⁽³⁾، ومن جانب آخر وفي ذات الوقت، واصل حزب الشعب الجزائري عمله سرا، وأصدر بذلك صحفا سرية منها "الوطن" باللغة الفرنسية 1940 - 1944، "العمل" (L'action) باللغة الفرنسية 1944⁽⁴⁾، التي لم تعرف الوجود سوى بضعة أشهر "صوت الأحرار" باللغة العربية 1945 - 1946⁽⁵⁾.

وبصدور العفو العام سنة 1946 فصح مجال النشاط للأحزاب بغية امتصاص غضبها المتراكم من جراء نتائج مجزرة 8 ماي 1945، التي أودت بحياة أكثر من 45 ألف مواطن جزائري.

نفس الشيء بالنسبة للصحافة الوطنية التي تأثرت هي الأخرى بالأحداث التي عرفتتها الحرب العالمية الثانية، وتركت بدورها آثارا جديدة تستحق الذكر في الصحافة الجزائرية منها:

1 - تحول الصحافة الوطنية إلى صحافة حزبية معبرة عن سياسة الأحزاب.

2 - تجاوزها لكثير من النقائص التي كانت تعاني منها في اللغة والطباعة والإخراج وغيرها.

3 - عرفت بصدورها المنظم لكونها تحولت من صحافة الأفراد إلى صحافة الأحزاب، وأصبحت تتمتع بإمكانيات مادية وبشرية ساعدتها في الصدور والتوزيع، وكذا توسيع دائرة القراء⁽⁶⁾.

وبظهور الأحزاب السياسية الجزائرية على الساحة مشكلة تيارات سياسية عديدة ظهر معها العديد من الجرائد التي اختلفت بدورها فيما بينها في التوجه، لأنها أصبحت تعبر عن اتجاهات سياسية واضحة ومحددة، وبذلك تحولت الصحافة الجزائرية إلى صحافة حزبية (لسان حال)، للإشهار بها والدفاع عن برامجها، وهي على صنفين الناطقة بالفرنسية والناطقية بالعربية⁽⁷⁾.

وانطلاقاً من هذا وللمزيد من التوضيحات بغية إعطاء صورة شاملة على الصحافة الوطنية في هذه المرحلة ارتأينا تقسيم الصحافة التي قلنا عنها بأنها تحولت إلى صحافة حزبية إلى ما يلي:

الصحافة الوطنية الاستقلالية:

بعد صدور قرار العفو العام سنة 1946، وفشل رابطة أحباب البيان والحرية من بقاء الأحزاب السياسية الجزائرية تحت لوائها، راح كل واحد من السياسيين الجزائريين يؤسس حزبا خاصا به، كما فعل فرحات عباس، الذي أنشأ "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" في 6 أوت 1946⁽⁸⁾ خلفا لحركة أحباب البيان التي أنشئت في 14 مارس 1944⁽⁹⁾ ومصالي الحاج الذي أسس هو الآخر "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" خلفا لحزب الشعب الجزائري، فيما احتفظت البقية بتسميتها، كما هو الشأن بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والحزب الشيوعي، كلهم

آملين في تحرير الجزائر واسترجاع السيادة الوطنية مع بعض الاختلافات، منها من كانت تطالب بالاستقلال الذاتي في إطار اتحاد فيدرالي مع فرنسا، يتزعم هذا الاتجاه فرحات عباس، ومن كانت تطالب بالاستقلال الكامل، ويتزعم هذا الاتجاه مصالي الحاج في حزب الشعب، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية⁽¹⁰⁾.

ومنذ هذا التاريخ، وتجاوبا مع الوضع الجديد الذي آلت إليه الحركة الوطنية بسبب نتائج الحرب العالمية الثانية، وموقف فرنسا القمعي لكل مطالب دعاة الوطنية والاستقلال، اتخذت الصحافة الوطنية التابعة للتيار الاستقلالي، مسارا جديدا لم تعرفه في الماضي، وهو الطابع الاستقلالي المدعم بالنزعة الثورية، وبمجرد اتخاذ مثل هذا الموقف، أخذ هذا النوع من الصحافة يتجذر ميدانيا على حساب باقي الصحافة الوطنية التابعة للاتجاهات السياسية الأخرى في المجتمع الجزائري، حيث أقبل هذا الأخير على الصحافة الجديدة لكونها تعبر بصدق عن تطلعات الجزائريين والموقف الفرنسي المتصلب⁽¹¹⁾.

واستمر نشاط صحف حركة انتصار الحريات الديمقراطية طيلة هذه الفترة يشرح برنامج الحركة وتقوية الوعي السياسي لدى أنصاره، ولدى كل الراغبين في التخلص من الوجود الاستعماري منمية فيهم الروح الوطنية وضرورة رفع السلاح في وجه المستعمر في

سبيل القضية الجزائرية واستقلالها، غير أن الوسائل الإعلامية التي استعملها الحزب في هذه الحقبة الزمنية، ونخص بالذكر الصحافة المكتوبة طبعا، لم تكن في مستوى حجم الحزب، بالنظر إلى قدمه ودوره في تاريخ الحركة الوطنية الحديثة، ولكونه يعد مدرسة خريجي حاملي الأفكار الثورية الذين كانوا وراء قيام الثورة في وقت لاحق، ولاستدراك النقص قامت مجموعة من الصحف، تدافع كلها عن الحزب وتتاضل في إطار مجاله السياسي، البعض منها تصدرها حركة انتصار الحريات الديمقراطية والبعض الآخر متعاطفة معه، ومن أهمها:

الأمة الجزائرية: 1946 - 1948 (La Nation algérienne).

صحيفة شهرية أصدرها الحزب في شهر جويلية 1946، باللغة الفرنسية خلفا لجريدة "العمل" فور توقيف السلطات الفرنسية جريدة "المساواة" لسان حال حركة أحباب البيان والحرية المنحلة، واستمرت في الصدور إلى غاية شهر أكتوبر 1948⁽¹²⁾.

ظلت الجريدة الوحيدة الصّامدة في الدفاع عن أفكار الحزب وتدعو إلى الاستقلال التام للجزائر، في ظروف أقل ما يقال عنها أنها مكهربة بسبب رداءة الجو السياسي الذي كان سائدا بين أعضاء الحزب، وعندما تصدع الحزب عام 1953 تحولت إلى جريدة أسبوعية ولسان حال أعضاء اللجنة المركزية "المركزيين" المنشقين عن المصاليين.

المغرب العربي : 1947 - 1949⁽¹³⁾.

صحيفة أسبوعية تصدر باللغتين، العربية والفرنسية، وهي أجنبية عن الحزب إنما هي متعاطفة معه⁽¹⁴⁾، يشرف على نشرها الشيخ السعيد الزاهري⁽¹⁵⁾، يتلقى هذا الأخير الدعم المادي من قبل الحزب لكونه يتبنى فكرة الاستقلال، يرجع صدورها إلى شهر جوان 1947، واستمرت في الصدور إلى نهاية عام 1949⁽¹⁶⁾.

الجزائر الحرة: 1949 - 1954 (L'Algérie libre).

ظهرت الصحيفة وهي نصف شهرية في تاريخ 18 أوت 1949، ثم تحولت إلى أسبوعية منذ جويلية 1953⁽¹⁷⁾، تصدر باللغة الفرنسية، وهي لسان حال حركة انتصار الحريات الديمقراطية، واستمرت في الصدور إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية في شهر نوفمبر 1954، وعندما عصفت الأزمة السياسية بالحركة سنة 1953، تحولت إلى جريدة أنصار الأمين العام للحزب "المصاليين" وبذلك دخلت الصحيفتان "الأمة الجزائرية، والجزائر الحرة" في صراع من أجل بسط النفوذ⁽¹⁸⁾.

المنار: 1951 - 1953.

صحيفة نصف شهرية متعاطفة مع الحزب في المبدأ المتمثل في المطالبة باستقلال البلاد الكامل، تصدر باللغة العربية، ظهرت للوجود في شهر مارس 1951، واستمرت إلى غاية شهر نوفمبر 1953، وبعد هذا التاريخ استقلت عن الحزب لكنها لم تستطع

الصمود سوى بضعة أشهر تلت الأزمة التي أصابت الحزب وانقسامه بسبب رفع الدعم المادي الذي كانت تتلقاه من الحزب⁽¹⁹⁾.

صوت الشعب: 1952 - 1954.

صحيفة أسبوعية تصدر باللغة العربية، وهي قريبة كذلك من الحزب، وتدعو بدورها إلى استقلال الجزائر، وقد استمرت في الصدور من شهر سبتمبر 1952 إلى أن توقفت في شهر أكتوبر 1954 تحت إشراف مصطفى فروخي⁽²⁰⁾، ولعل السبب الرئيسي الذي كان وراء توقيفها، هو الأزمة التي أصابت حركة انتصار الحريات الديمقراطية وتوقيف الدعم المادي لها.

تلخيصا لما سبق عن الصحافة الوطنية الاستقلالية، يمكن القول بأن طبيعة الإعلام المستعمل تختلف بدايتها عن نهايتها إذ كانت في أول الأمر تناضل من أجل كسب الحقوق الطبيعية للإنسان الجزائري بما في ذلك حق الاستقلال، لكنها تحولت في الأيام الأخيرة من عمر الحزب العتيد والرائد إلى ميدان معركة إعلامية أثارها طرفا الحزب (المصاليين والمركزيين) المنبثقين عن الأزمة التي عرفها الحزب سنة 1953، منحرفة عن العمل النبيل الذي تأسست من أجله، وهو كشف نوايا الاستعمار، وتنوير عقول الجزائريين، وزرع الأفكار الثورية، ظلت على هذه الوضعية المؤسفة التي لا تخدم مصلحة الشعب إلى أن اندلعت الثورة وأدركها

الإعلام الثوري وأمضى وجودها.

قال عنها السيد فرحات عباس: "تتنازعان على أنقاض الحزب وخصوصا السيطرة على الفروع والمالية، وتتصارعان في سبيل بسط النفوذ"⁽²¹⁾.

هكذا كانت نهاية صحافة حزب كتب اسمه بأحرف من ذهب في تاريخ الجزائر الحديث.

الصحافة الوطنية الاجتماعية:

الصحافة الوطنية الاجتماعية يعكس حقيقتها الاتجاه الذي سلكه (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) الذي أنشأه فرحات عباس في شهر أفريل 1946، اثر صدور قانون العفو العام في 16 مارس 1946، خلفا لحركة "أحباب البيان والحرية"، دفاعا عن وجودها وبقائها أعطت الحركة أهمية للعمل الإعلامي الذي يعد فعلا سلاحا ذا حدّين يتولى حمايتها، ومن أجل ذلك قامت بإصدار مجموعة من المنشورات كلها تدافع عن أفكار وآراء الحركة، تدور وتتمحور في معظمها حول مبدأ إنشاء جمهورية جزائرية مستقلة ذاتيا في إطار الاتحاد الفرنسي، بالاعتماد على وجوب إصلاح الظروف الاجتماعية للشعب الجزائري وترقيته إلى مستوى وضعية المجتمع الأوروبي بصفة عامة، والفرنسي بصفة خاصة⁽²²⁾.

يتجلى هذا الطرح واضحا في محتوى أسبوعية "المساواة" (L'Egalité) التي ظهرت إلى الوجود في شهر سبتمبر 1944⁽²³⁾، وقت إنشاء حركة "أحباب البيان والحرية" لسان حالها، إذ تحمل هذه الجريدة في عنوانها مبادئ الحزب ذاته، التي تتلخص في العمل على تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين، أو كما قال فرحات عباس إنها تعني:

"المساواة بين الرجال وبين الشعوب وبين الأجناس"⁽²⁴⁾.

تم توقيفها في شهر ماي 1945، إثر اعتقال مديرها السياسي السيد فرحات عباس، وبعد صدور العفو العام الذي استفاد منه السيد فرحات عباس وما أصاب الحركة الوطنية من تصدع، يؤس هذا الأخير من فكرة العمل السياسي الجماعي والتحالفات السياسية عندئذ أسس "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" في مدينة سطيف الذي حمل نفس المبادئ التي كان يحتويها برنامج حركة "أحباب البيان والحرية" واستبدل اسم صحيفة "المساواة" باسم صحيفة "الجمهورية الجزائرية"⁽²⁵⁾.

الجمهورية الجزائرية: 1946 - 1955 (La République algérienne).

صدرت لأول مرة في شهر مارس 1946، خلفا لجريدة "المساواة"، باللغة الفرنسية، للدفاع عن مبادئ الحزب التي تؤمن بها فئة من الشعب الجزائري المميزة وهي البورجوازية الجزائرية على أساس فكرة الإدماج تحت ظل الاتحاد مع فرنسا الذي تكون فيه

مستقلة ذاتيا⁽²⁶⁾.

ما يمكن استخلاصه من خلال عرضنا لطبيعة الإعلام لدى الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، هو أن هذه الحركة لم تجد نفعا ولا مساهمة في الإعلام الثوري، إنما كان إعلامها كما سبقت الإشارة إليه، يدافع عن جزائر مستقلة ذاتيا دون الخروج عن إطار الاتحاد الفرنسي، مركزا من أجل تحقيق ذلك على الجانب الاجتماعي وعلى وجه الخصوص التيار البورجوازي⁽²⁷⁾.

الصحافة الوطنية الإصلاحية:

على ذكر الصحافة الوطنية الإصلاحية يجربنا الحديث للتطرق إلى التيار الوطني الإصلاحي الذي ينسب إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي يعود تأسيسها إلى سنة 1931 بنادي التّرقّي بالجزائر العاصمة⁽²⁸⁾.

بعد العفو العام الذي جاء لرفع التجميد على نشاط الأحزاب السياسية، واصلت جمعية العلماء نشاطها النضالي محتفظة بتسميتها السابقة، لكن هذه المرة برئاسة الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي نصب على رأسها خلفا لرئيسها الأول الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي وافته المنية يوم 16 أفريل 1940.

ولمعرفة طبيعة إعلام جمعية العلماء الذي بدأ يتّضح أكثر فأكثر بعد الحرب العالمية الثانية، ينبغي قبل ذلك معرفة طبيعتها

السياسية أولا، بمعنى هل هي مجرد جمعية إصلاحية، خيرية وكفى؟ أم أن لها شأنها في السياسة ؟

بالرجوع إلى ما ورد في قانونها الأساسي، القسم الأول، الفصل الثاني والثالث، فإن النص واضح في ذلك، حيث يدل على أنها جمعية وليست حزبا، ولا علاقة لها بالسياسة:

"لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية"⁽²⁹⁾.

تحليلا لما جاء في قانونها الأساسي، نجد أن الجمعية قد استبعدت فكرة التنظيم السياسي مؤكدة بأنها ذات طابع اجتماعي، ديني لا غير، حيث كانت صريحة في تحديد موقفها الإصلاحي الذي أعطى لها طابعا إصلاحيا، الذي يمكن تلخيصه في ثلاث كلمات: (دين، علم، تربية).

هذا على خلاف غايتها السياسية، التي لم تعبر عنها صراحة في قانونها الأساسي ولا في باقي وثائقها الرسمية، غير أنه مع مرور الزمن، ومن خلال سلوكياتها وتصرفاتها وتعاملها مع الواقع، ثبت أن لها نصيبا في السياسة، ولو كان بالنسبة لها هدف أقل أهمية وأولوية عن الهدف الإصلاحي، وأن تنظيمها للمؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، وموقفها الراض لفكرة الإدماج لدليل كاف على ذلك.

إن الحاجة الماسة إلى الإعلام الذي يعد بمثابة همزة وصل

بين الرأي العام والجمعية الشاعرة بذلك، دفعتها إلى إنشاء صحيفة إعلامية بمجرد عودتها إلى النشاط السياسي تدعى جريدة "البصائر".

البصائر: 1947 - 1956.

أحييت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جريدتها السابقة "البصائر" بدءاً من تاريخ 25 جويلية 1947⁽³⁰⁾ بعد غياب طويل دام نحو ثمانية أعوام، عادت "البصائر" وهي لسان حال الجمعية بإشراف وإدارة رئيسها، الشيخ البشير الإبراهيمي، شرعت على الفور في تولي مهمة شرح البرنامج الإصلاحي الذي تتبناه الجمعية في أوساط الشعب الجزائري، مع الدفاع عنه بالرد على كل الهجمات التي كانت تتلقاها الجمعية من هنا وهناك.

لكن في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وإلى غاية توقيف الجريدة في شهر مارس 1956 من طرف السلطات الفرنسية بسبب نشرها لمقال يتضمن تأييد ومساندة العلماء للثورة⁽³¹⁾، كانت الجريدة خلال هذه المدة تتصف بوجهين متباينين، لكن دون إحداث تصدع أو انشقاق في هيكل الجمعية، وظل احترام الرأي سائدا فيما بينهم.

وكان أعضاء الجمعية منقسمين سياسيا إلى تيارين:

1 - تيار يميل لحزب الشعب الجزائري وهو الأقلية من حيث الأفكار وطريقة تحليل الأوضاع السياسية، وبالتالي فهو تيار ثوري مستعد للدخول في حرب ضد الاستعمار.

2 - تيار يميل للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وهو الأغلبية في طروحاته وأفكاره، غير أنه يخالف الاتحاد في نقطة واحدة وهي الإدماج والتجنس - فهو عكس التيار الثوري - متفتح ويفضل التعامل مع فرنسا قصد قبول إصلاحات الجمعية⁽³²⁾.

يقول الدكتور محمد العربي الزبيري في هذا الشأن:

" تحولت البصائر إلى جريدة تعكس تيارين سياسيين متباينين : فمن جهة، التيار الثوري الذي يبدو للقارئ من خلال بعض الافتتاحيات والنداءات الموجهة للرأي العام الفرنسي والدولي حتى يستيقظ الضمير الإنساني من أجل مناصرة الثورة والوقوف بشدة وحزم في وجه القوى الاستعمارية الشرسة، ومن جهة ثانية، التيار الذي يطلق عليه أصحابه صفة الاعتدال، والذي يتمثل في محاولات الانفتاح على السلطات الرسمية آملا في إيجاد طريق التفاوض قصد التوصل إلى إقناع الحكومة الفرنسية بضرورة تطبيق الإصلاح الذي من خصائصه: العدل والمساواة بين كافة سكان الجزائر"⁽³³⁾.

هكذا ظلت جريدة "البصائر" المنبر الوحيد لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تنشر أفكار التيارين المتباينين، ولعل هذا

التباين اتضح أكثر عند اندلاع الثورة حيث كان متوقعا بالنظر إلى قاعدة الجمعية الواسعة وإلى طابعها الديني اللذين سمحا بجمع شمل كل الذين يدافعون عن الدين الإسلامي، هذا ما لا يمنع وجود الفوارق الاجتماعية، فالليسورون وهم الأقلية يميلون إلى حزب الشعب الجزائري، والبورجوازيون الصغار وهم الأكثرية يميلون إلى حزب فرحات عباس "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري".

إن التردد الذي وقعت فيه الجمعية من أجل اتخاذ موقف نهائي وصريح إزاء الثورة، وكذا المقالات المتباينة التي نشرتها جريدة "البصائر" حول موقف الجمعية من اندلاع الثورة، يؤكدان مدى صحة وجود اتجاهين لدى العلماء: اتجاه ثوري، واتجاه اجتماعي إصلاحى، الأمر الذي صعب من مهمة العلماء في اتخاذ القرار منذ الوهلة الأولى، إلا أنه بعد التمعن في الموضوع بجدية وبمسؤولية، تم الاتفاق أخيرا على الانضمام إلى صفوف جبهة التحرير الوطني، حسب ما نشرته جريدة "البصائر" في شهر مارس 1956، الشيء الذي كلفها التوقيف النهائي من طرف السلطات الاستعمارية⁽³⁴⁾.

الصحافة الوطنية العالمية:

المقصود بما سميناه الصحافة الوطنية العالمية، هو انتساب مجموعة من الصحف إلى تيار سياسي يدعو إلى العالمية، الذي يتبناه الحزب الشيوعي الجزائري⁽³⁵⁾.

إن ولادة الحزب الشيوعي الجزائري، لم تكن كبقية الأحزاب السياسية الجزائرية المشكلة للحركة الوطنية، لقد انفصل سنة 1936⁽³⁶⁾ عن الحزب الشيوعي الفرنسي، بعد أن كان فرعاً له، غير أنه واقعياً هذه الاستقلالية لم تكن سوى صورية، لأن مناضليه خليط من الجزائريين والأوروبيين، وبالتالي لم يكن يؤمن بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال خارج هيكل الإمبراطورية الفرنسية⁽³⁷⁾.

إن وجود هذا الحزب على الساحة السياسية لم يحظ بكثير من الأهمية كبقية أحزاب الحركة الوطنية الأخرى لجملة من الأسباب نذكر منها:

- 1 - التركيبة البشرية، هي خليط جزائري - أوروبي.
- 2 - التبعية الفعلية للحزب الشيوعي الفرنسي.
- 3 - تعذر مشروعه السياسي المعروف باسم "القانون الأساسي للجزائر" من استقطاب الجزائريين والالتفاف حوله.

ولمعرفة التصور السياسي لهذا الحزب إزاء الحركة الوطنية وخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، يمكن الرجوع إلى مشروعه السياسي، الذي يمنح فيه للجزائر نوعاً من الاستقلال الذاتي مع الرفض الكلي لفكرة الانفصال ولو كان ذلك محاولة⁽³⁸⁾. كما يسعى كذلك إلى تحقيق العدالة في الحقوق والواجبات بين المسلمين والأوروبيين، وفصل الدين الإسلامي عن

الدولة والاعتراف باللغة العربية.

لعل نصوص هذا المشروع هي التي دفعت البعض إلى حدّ التساؤل عما إذا كان الحزب الشيوعي قد أجدى نفعا الحركة الوطنية أم لا، وتوصلوا إلى القول بأن الحركة الوطنية فعلا نشأت وترعرعت بين أحضان الحزب الشيوعي، حيث احتّمى بهم الأمير خالد أيام نفيه وولد النّجم تحت رعايتهم، قال الأستاذ أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن:

«فقد احتّمى بهم الأمير خالد بعد نفيه فاحتضنوه، وولد النجم تحت رعايتهم فاستفاد منهم، ولكن أرادوا أن لا ينطق إلا بعد أن يأذنوا له ولا يعمل إلا في النطاق الذي يحدّدونه له. وعندما أبى زعماء النجم ثم حزب الشعب هذه "الوصاية" وقعت النّفرة بل القطيعة، وقد استمر هذا التوجس حتى أثناء تأليف "جبهة الدفاع عن الحرية" واحترامها إن لم نقل حتى خلال الثورة»⁽³⁹⁾.

وبالنظر إلى كل هذا يمكن القول بأن الحديث عن الحزب الشيوعي الجزائري، يتطلب منا أن نستثني الكثير من الجزائريين الذين انضموا تحت لوائه من أجل حمايتهم ورعايتهم حتى لا يتعرضوا إلى نفس المصير الذي عرفتة أحزاب الحركة الوطنية التي لم ترد الانصياع للسلطات الاستعمارية.

في المجال الإعلامي لقد عرف الحزب الشيوعي الجزائري نشاطا كبيرا ومكثفا بسبب الأهمية الكبيرة التي أولاها للعمل

الإعلامي مستعملا إياه كسلاح للدفاع عن هجمات وانتقادات أحزاب الحركة الوطنية الأخرى المعارضة لمبادئه الأممية ، وكذا وسيلة لترسيخ أفكاره في أوساط الشعب الجزائري الذي تتوفر فيه الشروط المبدئية لتقبلها ، لكون الأغلبية الساحقة تعد من الطبقة الكادح.

ومن أجل بلوغ ذلك عمد إلى إنشاء صحيفتين: "الجزائر الجمهورية - Alger républicain" و"الحرية - Liberté" ، إلى جانب بعض النشاطات الإعلامية الأخرى كطبع المنشورات والكتيبات المفسرة للفكر الماركسي منها (دفاتر الشيوعية Cahiers du communisme) وغيرها من الكتب التي تجسد أفكار الحزب.

الجزائر الجمهورية: (Alger républicain).

جريدة أسبوعية تصدر في الجزائر العاصمة باللغة الفرنسية ، ثم تحولت إلى يومية عام 1938 تحت إشراف الحزب الشيوعي الفرنسي إلى غاية 1954 ، وبعده أصبحت لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري ، لقد نالت الجريدة رواجا كبيرا لدى القراء بسبب الخطة المنتهجة ، حيث كانت تتولى نشر جميع الأخبار التي يصعب على باقي الصحف الوطنية نشرها خشية توقيفها ، استمرت في الصدور وعلى هذا النهج إلى أن أوقفتها السلطات الاستعمارية سنة 1956 ، متّهمة هذه الأخيرة بوقوف الحزب الشيوعي الجزائري إلى جانب الثورة⁽⁴⁰⁾.

الحرية: 1943 - 1955 (Liberté).

صحيفة أسبوعية تصدر في مدينة الجزائر العاصمة باللغة الفرنسية منذ عام 1943، عادت للظهور في هذه السنة بعد تجميد نشاط الحزب الشيوعي الجزائري من قبل حكومة فيشي 1940، وهي لسان حال الحزب، سارت على نفس النهج الذي اتخذته شقيقتها "الجزائر الجمهورية" واستمرت في الصدور إلى أن أوقفتها السلطات الفرنسية في سبتمبر 1955.

خلاصة الحديث عن الصحافة الوطنية العالمية هي أنها سلكت خطة جدّ محكمة، إذ تبدي ظاهرياً بأنها تريد أن تخدم الشعب الجزائري وذلك بقدمها على كشف الكثير من فضائح الاستعمار في مقالاتها الصحفية، وكذا اقترابها من التيار الوطني الاستقلالي والتحالف معه.

إلا أن اندلاع الثورة الجزائرية كشف عن القناع الذي كانت ترتديه صحف هذا الحزب، إذ أنها في الحقيقة تسعى إلى كسب غضب الشعب الجزائري مبدية بأنها جدّ منشغلة بأوضاع الجزائريين، حتى يسهل لها مهمة الربط بين الجزائر المستعمرة وفرنسا المستعمرة، وبالتالي ضمان بقاء الجزائر مستعمرة فرنسية، مع تمديد عمر فكرة "الجزائر فرنسية" وحسب قول الدكتور محمد العربي الزبيري، إن الحزب الشيوعي الجزائري أصدر في اليوم الثاني من شهر نوفمبر 1954 بياناً يدين فيه اندلاع الثورة، ولم

يتأخر في تكليف وفد برئاسة نيكول زانتاكسي ليلبلغ أنصاره في منطقة الأوراس بعدم المشاركة في هذه المغامرة لا من قريب ولا من بعيد⁽⁴¹⁾، بل ذهب الحزب الشيوعي إلى أبعد من هذا عندما أسس جناحا عسكريا يدعى (المحاربون من أجل الحرية) لمقاومة الثورة متّهما عمل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالعمل الثوري، غير أن هذه الحركة (المحاربون من أجل الحرية) لم تتمكن من الصمود كثيرا أمام ضربات الجبهة وسياستها الجماهيرية، بحيث انضم الكثير من عناصر الحزب الشيوعي إلى الثورة مساهمين في السياسة والصحة وبالخصوص وسائل الإعلام⁽⁴²⁾.

بعد هذه الدراسة المتواضعة للصحافة في الجزائر منذ الاحتلال الفرنسي وإلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، التي نشرناها في مجلة "المصادر" في أعدادها 11، 12، والعدد الذي بين أيدينا، توصلنا إلى تحديد ثلاثة أصناف من الصحافة وهي:

الصحافة الحكومية، والصحافة الأهلية، ثم الصحافة الوطنية، هذه الأخيرة التي تحولت بعد الحرب العالمية الأولى إلى صحافة حزبية، لسان حال الأحزاب، تعددت باختلاف الاتجاهات السياسية للأحزاب (الصحافة الاستقلالية، الاجتماعية، العالمية، الإصلاحية) وكان لكل اتجاه نصيبه في بعث الروح الوطنية بطريقته الخاصة، إلا أن الاتجاه الحقيقي الذي انحدرت منه الصحافة التي كانت بمثابة الفتيل الذي أوصل الشرارة إلى

الصاعق، هو الاتجاه الاستقلالي الذي تبني الصحافة الوطنية الاستقلالية التي أثمرت نوعا جديدا من الصحافة، وهي الصحافة الثورية التي واكبت ثورة نوفمبر 1954، مواصلة نضالها ودعمها لها إلى غاية استقلال الجزائر سنة 1962.

الهوامش

- 1 - جوان جليسين، الجزائر الثائرة، تعريب خيرى حمّاد، منشورات، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، 1961، ص 78.
- 2 - جبهة التحرير الوطني، "المسيرة"، مطابع الحزب، الجزائر، 1979، ص 114.
- 3 - محمد العربي الزبيري، "الحركة الوطنية الجزائرية في مرحلة النضج 1942 - 1954"، مجلة الرؤية، أصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ماي - جوان 1996، العدد الثاني، ص 103.
- 4 - Benyoucef BEN KHEDDA, « Les Origines du 1er Novembre 1954 », Editions DAHLEB, 1989 , P 94 .
- 5 - عبد الرحمن بن العقون، "حول تاريخ الصحافة الوطنية الجزائرية"، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، العدد 46، أوت - سبتمبر 1978، ص 52.

- 6 - زهير احدادن، "الصحافة المكتوبة في الجزائر"، منشورات جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بدون تاريخ، ص. 43.
- 7 - أحمد حمدي، "مبادئ الإعلام والدعاية، لدى جبهة التحرير الوطني وتطبيقها في صحيفة المجاهد من 1956 إلى 1962"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، جوان 1985، ص 47.
- 8 - ناصر الدين سعيدوني، "أحداث 8 ماي 1945"، ذكرى تضحيات جسيمة وعبرة كفاح مرير "مجلة الذاكرة"، يصدرها المتحف الوطني للمجاهد، ربيع 1995، العدد الثاني، ص. 28.
- 9 - محمد لحسن زغيدي، "مجازر 8 ماي 1945"، "مجلة الذاكرة"، المرجع المشار أعلاه، ص. 31.
- 10 - عبد الرحمن عواطف، "الصحافة العربية في الجزائر" دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954 - 1962"، معهد البحوث والدراسات العربية، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1978، ص. 43.
- 11 - زهير احدادن، المرجع السابق، ص. 41.
- 12 - عبد الرحمن عواطف، المرجع السابق، ص. 45.
- 13 - عادت صحيفة "المغرب العربي" إلى الساحة الإعلامية في شهر مارس 1956، دائما تحت إشراف السعيد الزاهري الذي نفذ فيه حكم الإعدام من قبل جبهة التحرير الوطني، وتوقيف الجريدة في شهر ماي من نفس السنة، بعد رفضه الانصياع لأوامرها المتعلقة بالكف عن الدعوى إلى الالتفاف حول مصالي، وإن الوحدة لا تكون إلا وراء الجبهة.
- 14 - زهير احدادن، المرجع السابق، ص 43 - 44.
- 15 - Mohammed HARBI , « LE F. L. N. Mirage et réalité », des origines à la prise du pouvoir 1954 - 1962 , NAQD / ENAL , Alger, 1993, P 30.
- 16 - عبد الرحمن عواطف، المرجع السابق، ص. 45.
- 17 - Benyoucef BENKHEDDA , op, cit , P 230
- 18 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ص. 258.

واقع الصحافة الوطنية بين 1945 - 1954

- 19 - إحسان حقي، "الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد"، بيروت، 1961، ص 238 .
- 20 - أحمد حمدي، "الثورة الجزائرية والإعلام"، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الطبعة الثانية، الجزائر، 1995، ص 23.
- 21 - فرحات عباس، المرجع السابق، ص 258.
- 22 - Benyoucef BENKHEDDA , op , cit , P 114
- 23 - Charles Henri FAVROD, « La Révolution algérienne », Paris, Plon , P - 74.
- 24 - فرحات عباس، المرجع السابق، ص 223.
- 25 - فرحات عباس، نفس المرجع والصفحة.
- 26 - أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 24.
- 27 - فرحات عباس، نفس المرجع، ص 223 - 224.
- 28 - القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة 1937.
- يمكن الإطلاع على نص وثيقة القانون الأساسي كاملا في حالة تعذر الحصول على الوثيقة المشار أعلاها بالرجوع إلى كل من:
- محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- أحمد الخطيب، "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأثرها الإصلاحي في الجزائر"، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- اتخذت من نادي الترقى الواقع بساحة الجمهورية بالعاصمة مقرا لها طبقا لما جاء في قانونها الأساسي، القسم الأول، الفصل الأول.
- 29 - القانون الأساسي للجمعية، المرجع السابق.
- 30 - جريدة "البصائر" العدد 71، الصادرة في 18 جوان 1937.
- 31 - علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية" مجلة الثقافة، العدد 44 الصادرة في أفريل - ماي 1978، ص 21.
- 32 - أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 258.
- 33 - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 184 - 185.

- 34 - محمد خير الدين، "مذكرات" المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزء الأول، الجزائر، بدون تاريخ، ص. 299.
- 35 - أبو القاسم سعد الله، "الاتجاهات الفكرية والثقافية للحركة الوطنية الجزائرية"، محاضرة ألقاها في الملتقى الوطني الأول لكتابة تاريخ الثورة، المنعقد بين 28 و 31 أكتوبر 1981.
- 36 - اختلف الباحثون في تحديد تاريخ انفصال الحزب الشيوعي الجزائري عن الحزب الشيوعي الفرنسي، فالبعض يرجع ذلك إلى عام 1936- وهم الأغلبية - والبعض الآخر يرجعه إلى عام 1935 أمثال، جوان جليسن المرجع السابق ص85، وأحمد حمدي المرجع السابق ص.25.
- 37 - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص. 165.
- 38 - أنظر البيان الذي وقعه السادة: بومنجل، ساطور، تسوس، خير الدين، بوزار، عباس التركي، المنشور بجريدة المساواة الصادرة يوم 16/08/1946.
- 39 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.
- 40 - زهير إحدادن، المرجع السابق، 44.
- 41 - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص. 167.
- 42 - انضم الشيوعيين إلى الثورة كأفراد وليس كحزب.